

برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى رومية الحلقة السابعة والعشرون

مستمعي العزيز، بدأنا قبل ثلاثة لقاءات بدراسة الأصحاح الحادي عشر من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

وكان الرسول بولس قد بدأ في الأصحاح التاسع بمعالجة مشكلة علاقة الله بإسرائيل. فأكد أن المختارين من اليهود فقط يُعتبرون من شعب الله، وأن الله مختارين من الأمم واليهود سيؤمنون بالمخلص المسيح. وأوضح في الأصحاح العاشر أن غاية الناموس هي المسيح لكل من يؤمن به ربا. لكن معظم اليهود رفضوا خلاص الله، فحجب وجهه عنهم. فهل هذا يعني أن الله رفض شعبه القديم للخلاص؟

بهذا السؤال بدأ الرسول بولس الأصحاح الحادي عشر، وأجاب كلا. لأن الرسول بولس نفسه كان يهوديا، لا بل كانت هناك بقية مختارة من اليهود آمنت بالمخلص المسيح، بينما رفضته الغالبية منهم. وهنا أوضح الرسول بولس أن رفض غالبية اليهود لخلاص الله، لم يمنع الله من أن يكمل خطته الأزلية بإعلان خلاصه لكل الأمم. وكشف عن وجود زيتونة واحدة أي شعب واحد لله. وحذّر المؤمنين بالمسيح من الأمم من الافتخار، لأنه لا توجد عند الله محاباة.

ثم كشف الرسول بولس سرا وهو أن رفض إسرائيل لخلاص الله هو رفض جزئي. وذلك إلى أن يدخل ملء الأمم أي يكتمل عدد المؤمنين من الأمم. وعندها سيخلص جميع إسرائيل المختار من قبل الله. أي سيكتمل أيضا عدد المؤمنين في المسيح من اليهود. وليدعم حجته اقتبس الرسول بولس من العهد القديم ليؤكد أن المنقذ المخلص المسيح سيرد الفجور عن يعقوب، وذلك عند مجيئه وإتمامه لعمل الفداء.

ثم تابع الرسول بولس فاقتبس مرة أخرى من العهد القديم فكتب في العدد السابع والعشرين قائلا: "وهذا هو العهد من قبلي لهم متى نزعتم خطاياهم". أشار الرسول بولس هنا إلى بعض الآيات من العهد القديم و خاصة في سفر إرميا، التي تتنبأ عن العهد الذي سيقطعه الله مع إسرائيل لكي ينزع خطاياهم. فما هو هذا العهد يا ترى؟ لو عدنا إلى سفر إرميا لوجدناه يتنبأ عن عهد جديد سيقطعه الرب مع بيت إسرائيل وبيت يهوذا. وهو ليس كالعهد السابق مع آبائهم، إذ سيجعل الرب شريعته في داخلهم، ويكون لهم إليها وهم يكونون له شعبا. (راجع إرميا ٣١: ٣١-٣٤) ولقد فسّر لنا كاتب سفر العبرانيين معنى هذه النبوءة. إذ أكد لنا أن هذا العهد الجديد هو العهد الذي أقامه المخلص يسوع المسيح، بموته الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات. (راجع عبرانيين ٨: ٧-١٣)

فعند العشاء الأخير أخذ المخلص المسيح الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي. ثم أخذ الكأس وقال هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا. (راجع بشارة متى ٢٦: ٢٦-٢٨) إذن إن المخلص

المسيح هو الذي قطع هذا العهد بجسده المكسور، ودمه المسفوك على الصليب، لكي يغفر خطية كل من يؤمن. وهذا العهد لم يقتصر فقط على المؤمنين من اليهود، بل شمل المؤمنين جميعا من كل الأمم.

وإذا كانت النبوءة بالنسبة لهذا العهد تختص بإسرائيل، فإن هذا لا يمنع شمولها جميع المؤمنين بالمسيح. ومن المعروف أن كل تلاميذ المخلص المسيح كانوا من اليهود، وكذلك المؤمنون الأوائل. إن العهد الجديد المتبأ عنه في العهد القديم إذن، قد قطع فعلا مع بيت إسرائيل، بواسطة المخلص المسيح وموته الكفاري على الصليب، أي قطع مع إسرائيل الحقيقي المختار، وهم المؤمنون في المسيح من اليهود. لنعد الآن إلى ما أراد الرسول بولس قوله. فهو اقتبس هذه الآيات عن هذا العهد الجديد ليبرهن أن الله في النهاية سيخلص جميع إسرائيل وينزع خطاياهم، أي يخلص جميع المختارين منهم. وهذا يؤكد ما ذكرناه في الحلقة السابقة، أن المقصود بالآية: "كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب." (رومية ١١: ٢٦ب) هو المجيء الأول للمخلص المسيح، وليس مجيئه الثاني. فالرسول بولس لا يتحدث هنا عن عهد آخر، غير العهد الجديد، سيقبمه المسيح مع إسرائيل في المستقبل، كما يزعم البعض.

ثم أضاف الرسول بولس في العديدين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين قائلا: "من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم. وأما من جهة الاختيار فهم أحبباء من أجل الآباء. لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة." صحيح أن اليهود هم أعداء الله من جهة الإنجيل، أي بسبب رفضهم لبشارة الخلاص في المسيح. لكن بالنسبة لاختيار الله هم أحبباء لأجل الآباء، الذين هم إبراهيم ويعقوب وإسحق. والسبب لأن الله لا بد أن يخلص جميع إسرائيل الحقيقي المختار عن طريق إيمانهم بالمخلص المسيح، كما لاحظنا قبل قليل. إن الأحباء هنا هم المختارون فقط (من جهة الاختيار)، أو إسرائيل الحقيقي الذي سيؤمن بالمخلص المسيح. فالرسول بولس مازال يتحدث هنا ويبرهن أن جميع إسرائيل الحقيقي لا بد أن يخلص. "لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون. ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعا أولاد. بل بإسحق يدعى لك نسل. أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا." (رومية ٩: ٦ب-٨) والأمر في النهاية يتعلق في الله وطبيعته. لأن الله لن يندم أو يتراجع عن هبة الخلاص التي قدمها لهؤلاء الآباء ولنسلهم من المختارين له، ولا عن دعوته لهم ليصبحوا في المخلص المسيح من أولاده وشعبه.

ثم أوضح الرسول بولس ما سبق أن كتبه، فكتب في العديدين ٣٠ و ٣١ قائلا: "فإنه كما كنتم أنتم مرة لا تطيعون الله ولكن رحمتكم بعصيان هؤلاء. هكذا هؤلاء أيضا الآن لم يطيعوا لكي يرحموا هم أيضا برحمتكم." لقد كان وقت لا يطيع فيه الأمم الله. وعندما رفض اليهود بمعظمهم خلاص الله بواسطة المخلص المسيح، ففتح المجال بحسب خطة الله الأزلية، لكي يعم خلاص الله أو رحمته العالم أجمع. أما الآن فالعكس هو الصحيح. أي أن الأمم في كل أنحاء العالم هم الذين يختبرون خلاص الله ورحمته. وهذه الرحمة بدورها تتعكس الآن لتشمل اليهود فتخلص المختارين منهم، الذين يؤمنون بالمخلص المسيح. وهنا لا يتحدث الرسول بولس عن أمر سيحصل في المستقبل، لكن عن أمر يحصل في أيامه أو في الدهر الحالي إلى أن يأتي المسيح في مجيئه الثاني.

أما النتيجة فستكون كما كتب الرسول بولس في العدد الثاني والثلاثين: "لأن الله أغلق على الجميع معا في العصيان لكي يرحم الجميع." إن الله أغلق أي حكم على الجميع بالعصيان، أي جميع البشر سواء كانوا يهودا أم أمما. إذ كما هو مكتوب أن الجميع زاغوا وفسدوا معا ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد. والهدف لكي تشمل رحمته الجميع. وعلينا أن نلاحظ هنا كما سبق أن ذكرنا، أن هدف الله كان منذ الأزل أن يعلن خلاصه لجميع البشر. أما رحمة الله فهي ستشمل الجميع، أي جميع الذين سيؤمنون في المخلص المسيح سواء كانوا أمما أم يهودا.

ونلاحظ أيضا أن الرسول بولس لم يتحدث في هذا الأصحاح عن فترة خاصة في المستقبل سيخلص فيها المختارون من اليهود. لكنه على العكس من ذلك أكد أن ملء الأمم واليهود سيحصل في الدهر الحالي. فالدهر الحالي هو الدهر الذي بدأ بالمجيء الأول للمسيح، وسينتهي بالمجيء الثاني للمسيح. وهو الذي سيحصل عندما يكتمل عدد المختارين من المؤمنين في المسيح من الأمم واليهود. أما شعب الله في هذا الدهر فهم المؤمنون بالمخلص المسيح، كنيسة المسيح الحقيقية المنتشرة في كل أنحاء العالم. وكما سبق أن ذكرنا فإنه يوجد شعب واحد لله يشمل جميع المؤمنين سواء كانوا من أصل أممي أم يهودي.

لم يسع الرسول بولس أمام هذه الحقائق الروحية المجيدة التي دونها، سوى أن يختم موضوعه الهام هذا بتسبيحة حمد وشكر الله، واعتراف بحكمته العجيبة وأفضاله الغنية فكتب قائلا: "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء. لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيرا. أو من سبق فأعطاه فيكافأ. لأن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد. آمين." حقا، ما أعمق حكمة الله، وما أعظم أعماله، وكم هي بعيدة أفكاره وأحكامه عنا نحن البشر. فهو خلقنا وأحبنا وهيا لخلصنا. وأرسل كلمته الأزلي المخلص المسيح لكي يفدينا من آثامنا ويجعلنا من أولاده وشعبه.

ألا ترغب مستمعي العزيز أن تصبح من شعب الله المحرر من قيود الخطية؟ تعال اليوم وقبل فوات الأوان بتوبة صادقة وإيمان قلبي أكيد بشخص المخلص المسيح.